لماذا الهجرة إلى الحبشة ؟ (2)

نشر بتاريخ 26 إبريل 2021

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

قلنا بالأمس لماذا لم يفكر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في القبائل العربية المحيطة بمكة المكرمة، على الرغم من أنها تتحدث العربية طبيعتها وبيئتها لا تختلف عن مكة وشعبها وبيئتها ؟

لنواصل ما انقطع من حديث، ولنجيب على التساؤل، لماذا الهجرة إلى الحبشة ؟

يقول راغب السرحاني لقد كان في جزيرة العرب تجمعات قبلية كبيرة وكثيرة، فكانت هناك ثقيف في الطائف، وهوازن في حنين، وبنو حنيفة في شرق الجزيرة، وعبس وذبيان في شمال المدينة، وغيرها كثير مثل غطفان وبني بكر وبني عامر، وهذه القبائل لها الميزة والأولوية في كونها تعيش في ظروف مقاربة تماماً لظروف المسلمين في مكة؛ ومن ثَمّ فلن يشعر المسلمون بتغير كبير في طبيعة الحياة، وهذا بالإضافة إلى كونهم يتكلمون العربية، وقرب مكانهم من مكة؛ وعليه فإنه إذا احتاج رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إلى المسلمين فإنهم ما يلبثون أن يقدموا

سريعًا، لكن العقبة في هذا التوجه كانت تكمن في أن هذه القبائل جميعها مشركة، وهي وإن لم تعلن العداء السافر للمسلمين إلا أنها كلها كانت تعظّم قريشًا، وعلى هذا فإنه إذا طلب القرشيون المسلمين فلن تتردد مثل هذه القبائل أن تدفع المسلمين إليهم، إذن فلم يكن هذا الخيار صائبًا.

ولعل الرسول صلى اللّه عليه وسلم قد فكر في يثرب – المدينة المنورة – لكن يثرب في هذه الآونة لم يكن بها مسلم واحد، كما أنها بلد متقلب جدًا، حيث الحروب ما زالت على أشدها بين الأوس والخزرج، كما أن اليهود ومنذ زمن بعيد يسكنون هذه البلاد، وكان تاريخهم فيها وفي غيرها لا يبشر بخير.

ولعل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فكر أيضًا في العراق، حيث القبائل العربية الكثيرة التي تعيش في هذه المناطق، مثل بني شيبان وغيرها، لكن هذه القبائل – إضافةً إلى كونها مشركة – كانت على ولاءٍ شديد وتحالف مع الفرس، وعادة ما يكره الملوك الدعوات الإصلاحية، فلم يكن كسرى فارس ليرحب بمثل هذا القدوم للمسلمين.

ولعل الرسول صلى اللّه عليه وسلم قد فكر في الشام أيضًا، حيث القبائل العربية مثل قبائل الغساسنة، لكنها وعلى الجانب الآخر كانت موالية للروم، ولن ترحب أيضًا باستقبال هذه الدعوة الجديدة. ولعله كذلك صلى اللّه عليه وسلم قد فكر في مصر، لكن مصر وعلى الرغم أن بها ملكًا معتدلاً وهو المقوقس إلا أنها كانت محتلة من قِبل الرومان ولا تملك من أمرها

شيئًا. ولعله أيضًا صلى اللّه عليه وسلم قد فكر في اليمن، لكن اليمن أيضًا كانت محتلة من قِبل فارس، ولن يقبل الفرس بقدوم المسلمين.

ولا شك أنه صلى اللّه عليه وسلم قد فكر في كل هذه الأماكن؛ لأنها قريبة ومنطقية، وغالبها عربية باستثناء مصر، لكنه صلى اللّه عليه وسلم لم يجدها مناسبة، وهنا بزغ في ذهن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الاختيار الأخير، الذي بدا اختيارًا عجيبًا في نظر الكثيرين، حتى في نظر المعاصرين له صلى اللّه عليه وسلم وهذا الاختيار هي الحبشة، وكان اختيار الحبشة اختيارًا عجيبًا حقًّا، وهو إن دل على شيء فإنه إنما يدل على سعة اطلاعه صلى اللّه عليه وسلم وعلى حكمته في ذات الوقت، فعلى الرغم أن بالحبشة بعض العيوب الملموسة، إلا أن مزايا اختيارها كانت تفوق عيوبها كثيرًا.

وقد كان من أهم عيوب اختيار الحبشة هو أنها بعيدة عن مكة، ومن ثم فقد تصعب عملية الاتصال أو المراسلات، كذلك أيضًا كان من هذه العيوب اختلاف لغتها (لغة الحبشة) عن لغة المهاجرين؛ حيث لم يكونوا يتكلمون العربية، وأيضًا كانت العادات والطبائع لأهل الحبشة مختلفة كثيرًا عن عادات وطبائع العرب والجزيرة العربية؛ مما قد يؤدي إلى صعوبة نسبية في الحياة هناك، كانت هذه هي عيوب اختيار الحبشة مكانًا لهجرة المسلمين، لكن إذا نظرنا إلى مزايا هذا الاختيار كمكان للهجرة نجد فيه الكثير.

إذن ماذا كان يميز الحبشة لتكون الخيار الاستراتيجي عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم للهجرة ؟

هذا ما سنحاول أن نتعرف عليه في الغد إن شاء اللّه.